سير الزمان

دستور السوفيت الاشتراكي

للاستاذ وليم بنت مورو

حول المشكلة الايطالية الحبشية

المستعمرات والموارد الطبيعية

نظام العقوبات

القتال والموقف الدولي

الدستور السوفياتي الاشتراكي [1]

للاستاذ وليم بنت سرو [2]

— ٢ —

في صيف سنة ١٩١٨ أقرّ مؤتمر السوفيت — الذي اصبح فيما بعد يدعى مؤتمر جميع الروس — دستوراً أعدّهُ له زعماء البلاشفة وهو لا يزال الى الآن دستور (اتحاد جمهوريات روسيا الاشتراكية السوفياتية) وفي الوقت نفسه منحت الأقاليم التي كانت قبل الثورة مستعمرات للتاج القيصري استقلالها وأقامت لها جمهوريات سوفياتية منفردة اتحدت بعضها ببعض وفي سنة ١٩٢٢ عقد بين جميعها معاهدة اتحاد عامة. وكانت نتيجة هذه المعاهدة نشوء (الاتحاد السوفياتي) أو (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (Union of Socialist Soviet Republics, U. S. S. R.) يشمله دستور اتحادي واحد وقعت عليه جميع الجمهوريات الداخلة في الاتحاد سنة ١٩٢٣ . ويشمل هذا الاتحاد السوفياتي العام سبع جمهوريات اتحادية رئيسية وهي : —

١ — اتحاد الجمهوريات الروسية الاشتراكية السوفياتية — Russian Socialist Federated Soviet Republics, R. S. F. S. R. وهي روسيا وسيبيريا الاصلية ولكل جمهورية داخلة فيها عاصمة ادارية أهمها موسكو وهي عاصمة الاتحاد العام ايضاً

٢ — جمهورية روسيا البيضاء الاشتراكية السوفياتية White Russian S. S. R. وعاصمتها منسك

٣ — جمهورية اوقرانيا الاشتراكية السوفياتية — Ukrainian S. S. R. وعاصمتها خاركوف

٤ — اتحاد جمهوريات قفقاسيا الاشتراكية السوفياتية — Transcaucasian Socialist Federated Soviet Republics وهي عدة جمهوريات لكل منها عاصمة ادارية أهمها تفليس عاصمة جمهورية اذربيجان وعاصمة الاتحاد القفقاسي ايضاً

٥ — جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية — Turkmenistan S. S. R. في أواسط آسيا وعاصمتها عشقباد

٦ — جمهورية ازبكستان الاشتراكية السوفياتية — Usbek S. S. R. في اواسط آسيا ايضاً وعاصمتها طاشقند

٧ — جمهورية تاجستان الاشتراكية السوفياتية — Tadahikistan S. S. R. في أواسط آسيا ايضاً وعاصمتها ستالين آباد

---

(١) Socialist Soviet Constitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كاليفورنيا الفني بلميركا وقد نقل هذا الفصل المتع كامل ترانجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق. راجع ملتقف يراير الماضي صفحة ٢١٩

وفي كل من هذه الجمهوريات السبع الرئيسية جمهوريات او اقطار ومناطق تتمتع باستقلال داخلي في شؤونها القومية حسبما تقتضيه التقسيمات الادارية والفروق الجنسية اللغوية . ومع ان لكل جمهورية حاستها الداخلية الاَّ أن جميعها تبعث بممثليها الى حكومة الاتحاد العام في موسكو

وقد انفصلت عن امبراطورية آل رومانوف عدة أقطار كانت قبلاً مستعمرات لروسيا لكنها الآن دول مستقلة وهي فنلندة ولتوانيا واستونيا ولاتفيا وألحقت بسارابيا رومانيا واعيدت بولندة الروسية الى بولندة الاصلية

يعلن دستور سنة ١٩١٨ في قمته ان روسيا «جمهورية سوفيت مندوبي العمال الفلاحين والجنود» وهي تقوم على اساس «اتحاد حر لأمم حرة» . ثم يعقب اعلان حقوق «الجموع العاملة المستغلّة» . — وليس حقوق جميع أفراد الشعب لان ليس (للشعب) معنى اقتصادي سياسي واحد في المجتمع الطبقي — وفي هذا القسم من وثيقة الدستور يؤكد عمل السلطات الثورية ويوافق على عملها بألغاء التملك الفردي ومصادرة جميع وسائل الانتاج من قبل الدولة وجعلها ملكاً للمجتمع تستغلّ لمنافعه العامة . وهكذا اعلن ان جميع الاراضي والمناجم والمعامل وجميع وسائل الانتاج والتوزيع والمواصلات ملك عام للمجتمع تشرف الدولة على استغلالها وادارتها واعطتها للعمال من دون مقابل على ان لا يكون لاحدهم فيها الاَّ حق الاستعمال والاستغلال بحسب مشروعات السوفيت أو السلطات المحلية وسلطات الاتحاد العام . وكذلك أعلنت الحكومة الغاء جميع ديون الحكومة القيصرية للحكومات أو الشركات الرأسمالية فكان ذلك ضربة شديدة على الحكومات الدائنة والمؤسسات المالية الدولية

يمنح الدستور السوفياتي جميع الحقوق المدنية ومنها حق الانتخاب لجميع المقيمين والمقيمات في الاتحاد السوفياتي البالغين سن الثامنة عشرة فما فوق من دون أي تفريق في الجنس أو الدين أو اللغة ومن دون أي قيد خاصّ بالاقامة على شرط (وهنا يؤكد الدستور) ان يكون المصوّت أو المصوّتة «ممن يقتنون عيشهم بعمل منتج ولا يستخدمون غيرهم بقصد الاستغلال والربح الشخصي» . وتنص مواد الدستور على ان الجنود والبحارة هم من الذين يحصلون على عيشهم بعمل منتج لذلك هم يتمتعون بحق التصويت كغيرهم . لكنه يصرح بحرمان الطبقات الآتية من حق التصويت واشغال المناصب والتمتع بالحقوق المدنية وهي : —

١ — كل من يستخدم الآخرين لغاية الاستغلال والربح الشخصي وجمع الثروة (ولا يشمل هذا استخدام الخدم في البيوت على ان لا يتجاوز عددهم حدّاً صغيراً معيناً)

٢ — كل من يعيش على دخل لا يُجبى من اتعابه الخاصة (كالربا والايجار والارباح الغير المشروعة) وكل من يتعاطى هذه الاعمال بأي صورة كانت

٣ — التجار الفرديين والوكلاء وغيرهم من اصحاب الاعمال النفعية الفردية النطفلية الغير الانتاجية

٤ — رجال الاديان على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم (وعلى الاخص اذا كانوا يعيشون بفضل مركزهم الديني لا من حرفة أو عمل منتج معين)

٥ — الاشخاص الذين كانت لهم اعمال او صلة ببعض دوائر الحكومة القيصرية

٦ — كل معتوه او فيه خلل عقلي او من يرتكب جريمة مأجورة او مخلة بالشرف

وكذلك ينص الدستور على منح الحقوق المدنية وحق التصويت للاجانب الذين يقيمون في بلاد الاتحاد السوفياتي إن كانوا يقومون بعمل منتج ويعتبرون مواطنين سوفياتيين من دون شرط معاملة رسمية اذا كانوا يعيشون على اتعابهم الخاصة في عمل منتج ويحافظون على قوانين وانظمة الاتحاد العام والسلطات المحلية . ومع ان عمر المصوّتين محدد عند سن ال ١٨ سنة إلاّ ان في الامكان تبديله بأمر من اي سوفيت محلي بعد موافقة السلطات المركزية

والذي يجدر بنا ملاحظته ان هذه الحدود لا تمنح التصويت العام لانها تحرم جميع الاشخاص إلاّ العمال بما فيهم الفلاحين والجنود ومعنى هذا ان نظام التصويت هذا يحرم كل من تبقى من البورجوازية الروسية وبقايا الاقطاعيين بما فيهم من جميع اصحاب الدكاكين الفردية والتجار الفرديين وكل من يستخدم شخصاً واحداً على الاقل لغاية الربح الشخصي وحتى الفلاح الذي يؤجر فلاحاً آخر في عمله الفردي يحرم من حق التصويت . وهكذا نرى ان الدستور السوفياتي يرمي الى تأسيس الدمقراطية الاقتصادية أولاً التي عليها وبواسطتها يمكن ان تنجح الدمقراطية السياسية والاجتماعية لذلك نراه يبدأ بتوطيد الدمقراطية بين الطبقات العاملة بينما يعلن دكتاتورية العمال على الطبقات الاقطاعية والبورجوازية القديمة . اي ان الطبقات العاملة تتمتع بالدمقراطية وتفرض دكتاتوريتها على الطبقات المستغِلّة القديمة لكي تتمكن من ادماجها في الطبقات العاملة إن عاجلاً وان آجلاً . وفي هذا العمل بدء منطقي للبلاشفة لان نظرية الحكومة الطبقية في نظر الشيوعية تتلخص باعتبار جميع الطبقات الغير العاملة مستغلة متطفلة تعيش على الطبقات العاملة لذلك يتحتم على الطبقات العاملة التي تأتي في آخر الطبقات في التدرج التاريخي ان لا تتساهل مع الطبقات السابقة لها في الحكم وان لا تشجعها على البقاء متطفلة بمنحها الامتيازات السياسية وبذلك تقضي على نظام الطبقات بجعلها المجتمع كله طبقة واحدة عاملة مالكة تنتج الثروة عامة وتستهلكها عامة

إن الشكل الذي وضعهُ دستور سنة ١٩١٨ للحكومة السوفياتية كثير التعقد وقد وضع بهذا الشكل المعقد تعمداً لان الزعماء الشيوعيين رأوا ان الذي يحاول ان ينتزع الحكم من الطبقات القديمة عليه ان يجعل شكل الحكومة صعب المهاجمة لكيلا يتعرض لتلاعب اعداء النظام الجديد به . وقد احتفظ بالهيكل الحكومي الذي وضع سنة ١٩١٨ في معاهدة الاتحاد سنة ١٩٢٢ التي جعلت من امبراطورية روسيا اتحاد جمهوريات سوفياتية اشتراكية

إن اعلى مؤسسة تستمد منها السلطة في الاتحاد السوفياتي هي : — (مؤتمر سوفيت الاتحاد

الاعلى All-Union Congress of Soviets) ويتكوّن من مندوبي سوفيت المدن بمعدل مندوب واحد عن كل ٢٥ الف عامل صناعي ؛ اما الاقاليم الريفية فقد كانت تمثل بمعدل مندوب واحد عن كل ١٢٥ الف ساكن في الريف قبل التعديل الدستوري الذي أجري في اوائل يناير سنة ١٩٣٥ الحالية على اساس التمثيل الغير المباشر والتصويت العلني ، اما بعد التعديل الاخير فقد وضع الريف على قدم المساواة مع المدينة بان يمثل بمندوب واحد عن كل ٢٥ الف صوت حتى الفلاحين ايضاً والغي التمثيل الغير المباشر وحل مكانه التمثيل المباشر والتصويت السري مكان العلني . ويجتمع هذا المؤتمر بانتظام مرة واحدة في كل سنة . وفي المدة التي لا يكون المؤتمر منعقداً تضطلع بالسلطة التشريعية العليا (لجنة الاتحاد التنفيذية المركزية العليا — All-Union Central Executive Committee, Tsik.) التي ينتخبها المؤتمر في كل سنة وهي تجتمع مدة اسبوعين كل ٣ اشهر . وهذه اللجنة هيئة واسعة تشمل على ما يقارب ٤٠٠ عضو وتنقسم الى مجلسين : ١ — (سوفيت الاتحاد Soviet of the Union) وهو يمثل كلاً من الجمهوريات السبع الرئيسية وما فيها من المناطق والاقاليم الذاتية على اساس عدد سكان كل جمهورية على حدة . ٢ — (سوفيت القوميات — Soviet of Nationalities) وهو يمثل جميع القوميات والاجناس الداخلة في الاتحاد على اساس المساواة بين جميعها وعددها يقرب ٢٠٠ قومية ، وللجنة التنفيذية هيئة (رآسة — Presidium) او لجنة مسيرة مكونة من ٢٧ عضواً ينتخبون من قبل اعضاء اللجنة التنفيذية وعلى هذه الهيئة تقع إدارة كثير من الشؤون الجارية اليومية وكذلك تعتبر السلطة التشريعية العليا وعليها ان تراقب مجلس التوميساريين عند ما لا تكون اللجنة التنفيذية المركزية العليا مجتمعة

وتنحصر السلطة التنفيذية بالوزارة او (مجلس قوميساري الاتحاد الاعلى All-Union Council of Commissars) وهو هيئة مكوّنة من ١٥ قوميساراً تنتخبهم اللجنة التنفيذية المركزية العليا ويكونون مسؤولين نحوها ونحو مؤتمر سوفيت الاتحاد ونحو مجلس الرآسة ايضاً . ومن هؤلاء القوميساريين واحد رئيس و٤ نواب رئيس بالترتيب . ويقوم كل من القوميساريين عدا الرئيس بمهام قوميسارية معينة كقوميسارية الشؤون الخارجية ، الحربية ، البحرية ، التجارة الخارجية ، المواصلات ، العمل ، الطعام والمالية الخ . . . . ، وتشمل الاوامر والانظمة التي يصدرها مجلس قوميساري الاتحاد جميع افراد الاتحاد ويجب تنفيذها حالاً من قبل قوميساري كلٍّ من الجمهوريات الداخلة في الاتحاد . وقد نشأ داخل هذا المجلس هيئة صغيرة تعرف باسم (سوفاركوم — Sovarkom) او قوميسارية داخلية يرئسها جوزيف ستالين السكرتير العام للّجنة التنفيذية المركزية العليا للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي . ومع هذه الهيئة هيئة اخرى صغيرة تدعى (البوليتبورو — Politbureau) وكلتاهما تقبضان على جميع شؤون الاتحاد

يمنح دستور الاتحاد سلطات واسعة لهيئات حكومة الاتحاد التي اوضحناها سابقاً ومن هذه

السلطات ادارة جميع شؤون المعاهدات والشؤون الخارجية وحق اعلان الحرب وعقد السلم وعقد الديون الخارجية وتنظيم التجارة الخارجية وتنظيم السكك الحديدية والبرق والبريد والمؤسسات العسكرية ووضع عملة عامة منظمة وحق وضع نظام الضرائب الموحد وتوحيد الاوزان والمكاييل والمقاييس . وكذلك يمنح سلطات الاتحاد حق « وضع الاسس العامة التي يجب ان تتبع من قبل الجمهوريات الرئيسية فيما يخص القانون المدني او الجنائي والاساليب القضائية وتشريعات العمل والمدارس » . ومن حق سلطات الاتحاد العليا (رفض — Veto) كل قانون او مرسوم او نظام تضعه اي واحدة من الجمهوريات الرئيسية اذا تعارض مع المعاهدة والدستور الاتحاديين اللذين يعتبران قانون البلاد الاعلى

إن تكوين الاتحاد لم يمحُ الدساتير التي كانت لكل من الجمهوريات السبع الرئيسية إذ احتفظت كل واحدة منها بنظام حكومتها القائم على الاساس الاشتراكي السوفياتي . وهذا لا يختلف كثيراً في الجمهوريات المختلفة . وكل من هذه الجمهوريات السبع مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ولها من الحقوق ما يساعدها على تنفيذ الاوامر التي تأتيها من سلطات الاتحاد في موسكو ولهذه الجمهوريات الرئيسية وما فيها من مناطق واقاليم ذاتية داخلية سلطة على الشؤون المحلية كالتربية والصحة والتأمين الاجتماعي وادارة القضاء في المحاكم الثانوية وتشجيع الزراعة والصناعة على شرط ان لا تخرج ولا تتعارض في هذه الشؤون مع السياسة العامة التي تقررها سلطات الاتحاد العليا . ولكل منها مجلس قومي ساريين خاص بها له السلطة في ادارة شؤونها الخاصة

فأساس هذا النظام ١ — هيئات العمال في المعامل وحوانيت الشغل في المدن — ٢ — هيئات الفلاحين في القرى والمجتمعات الريفية . هذه الهيئات في كل معمل او منجم او محطة او دائرة او قرية او مزرعة اشتراكية الخ . . . تنتخب لها مجلساً (سوفيت) محليًّا . واذا كان المعمل او القرية او المزرعة الاشتراكية صغيرة جداً تنتخب عدة منها وتنتخب مندوباً عنها في سوفيتها المحلي . وهكذا يبدأ هيكل الحكومة السوفياتية بهذه المجالس المحلية الى ان يبلغ عددها عدة آلاف في جميع بلاد الاتحاد . على هذه الاسس يقوم البناء الاهرامي لحكومات الجمهوريات والمناطق والاقاليم الذاتية وحكومات الجمهوريات السبع الرئيسية وحكومة الاتحاد معاً

وهذه المجالس المحلية في المدن والارياف تنتخب مندوبين عنها الى هيئات أعلى على طريقة التمثيل المباشر والتصويت السري وهذه الهيئات هي كما يلي : —

١ — كل سوفيت اولي محلي زراعي يبعث مندوبيه الى سوفيت الريف . وكل سوفيت اولي عملي صناعي يبعث مندوبيه الى سوفيت المدينة

٢ — يبعث كل من سوفيت الريف وسوفيت المدينة مندوبيه مباشرة الى : — ا — مؤتمر سوفيت الاقليم — ب — مؤتمر سوفيت المنطقة التي تقع فيها عدة مدن وارياف — ج — مؤتمر

سوفيت جميع الجمهورية الرئيسية (مؤتمر سوفيت جميع الروس)د — مؤتمر سوفيت الاتحاد الاعلى

والذي يجب ملاحظته هنا ان سوفيت الارياف الزراعية كانت قبل التعديل الدستوري الاخير محرومة من التصويت السري والتمثيل المباشر في المؤتمرين الاخيرين لكنها كانت تمثل فيها بطريقة غير مباشرة بواسطة مندوبين من مؤتمرات المناطق وفي بعض الاحيان من مؤتمرات الاقاليم ايضاً ، وكذلك لم يكن التمثيل متناسباً مع السكان اذ كان يجري على اساس عدم المساواة بين الريف والمدينة لان نسبة تمثيلهم كانت تقارب نسبة ١:٥ في الريف والمدينة على الترتيب

وقد كان هذا التفضيل الموقت للمدينة على الريف مقصوداً من قبل قادة الثورة اذ كانوا يعتقدون ان العمال في المعامل صناعيون حقا فهم لذلك اكثر اخلاصاً للنظام الاشتراكي ويمكن الاعتماد عليهم في بناء الاشتراكية لانهم اكثر فهماً لمبادئها وأساليبها وأقوى شعوراً بالنضال الطبقي ومساوىء النظام الرأسمالي الذي كانوا يعيشون في ظله ولانهم اكثر تحرراً من التقاليد والعقلية الرجعية الشديدة القوة عند الفلاحين الفرديين . اما بعد مرور ما يقارب ١٧ سنة على قيام دكتاتورية العمال في الاتحاد السوفياتي تمكنت المبادىء الاشتراكية في قلوب الفلاحين بعد ان شملتهم مشروعات السنوات الخمس وعمت بينهم التربية لذلك اخذ زعماء النظام يشعرون بالاطمئنان الى اخلاص الفلاحين فأقروا منحهم التمثيل المباشر والتصويت السري القائم على اساس المساواة بين المدينة والريف دون ان يخشى الزعماء انقلاب الفلاحين على النظام الذي اصبحوا منتظمين فيه مرفهين بواسطته

ولهذا النظام السوفياتي للحكومة — عدا عن هذه الخصائص — ميزات اهمها : —

١ً — اتحاد واسع مفتوح لا وحدة مغلقة ضيقة — ان هذا الاتحاد لا يقوم على اساس الوحدة المغلقة التي تكون فيها السيادة مطلقة بيد القومية الاكثرية لكنهُ اتحاد حر لقوميات حرة على اساس التحالف والتعاون لا القوة والاستعمار كما كانت في عهد الامبراطورية القيصرية . لكن لما كانت روسية الاصلية اوسع جمهوريات الاتحاد مساحة اذ تبلغ ٧٫٣ مساحة الاتحاد بأجمعه وفيها من السكان ما يقارب ثلثي سكان الاتحاد ايضاً ، ولما كانت هي التي قامت بالثورة الكبرى لذلك اصبحت هي المسيرة لشؤون الاتحاد العامة تاركة للجمهوريات الاخرى التمتع بالاستقلال الذاتي في شؤونها الداخلية والثقافية على الاخص وتعليم ناشئتها باللغة القومية الخاصة . وللجمع بين حكومة الاتحاد وحكومة روسيا الاصلية يدير الشؤون العليا عادة نفس الزعماء السياسيين ، لكن هذا لا يمنع تقلد غير الروسيين من الاجناس الاقلية مناصب في حكومة الاتحاد العامة

٢ً — جمع السلطات — والميزة الثانية ان ليس في نظام الحكومة السوفياتي فصل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية الواحدة عن الاخرى فصلاً مطلقاً . فالسلطة التشريعية والتنفيذية موحدتان وفي بعض الاحيان تدخل السلطة القضائية ايضاً في هذا التوحيد . فلذلك اصبح في امكان نفس السلطات ان تهيىء القوانين وتوافق عليها وتصدرها وتنفذها وتفسرها وفي بعض الاحيان تعاقب المخالفين لها

« البحث تتمة »